إسهامات علماء قاين في الحركة الفكرية
(القرن ٤-٦هـ/١٠-١٢م)

أ.م.د. علي نجم عبد الله الفياض(*)

المقدمة ونطاق البحث

لقد شهدت بلاد فارس قُبيل ظهور الإسلام أوضاعاً سياسية متدهورة، مما دعا أهالي البلاد للتفكير في التخلص من الظلم حيث وجدوا في الإسلام ما كانوا يرجونه، وبعد وفاة الرسول (ﷺ) انتشر المسلمون في البلاد شرقاً وغرباً راغبين في نشر الإسلام ومبادئه السمحة، إذ كانت بلاد فارس فيما بعد، شهدت وفود المسلمين عليها، ومن هنا جاء اختيارنا العنوان: (إسهامات علماء قاين في الحركة الفكرية.. من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وحتَّى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي).

نطاق البحث

الهدف من الموضوع: هدفي من الموضوع هو لتعريف الباحثين عن بعض التراث المنسي في المشرق.

سبب اختيار الموضوع: إن سبب اختيار الموضوع لرفد ميدان المعرفة بما هو جديد.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية الموضوع حسب اطلاعي في الفهارس الإلكترونية أن الموضوع لم تتناوله أقلام الباحثين لبحث أكاديمي، وهذا ما دعانا للخوض في ثنايا البحث.

تقسيمات البحث: اشتمل البحث على تمهيد وثلاث محاور تسبقه مقدمة وتتلوه خاتمة، فضلاً عن قائمة بمراجع البحث. وخُصص التمهيد للحديث عن الجذور التاريخية للمدينة قبل الإسلام.

خُصص المحور الأول للحديث عن الوصف الجغرافي والتاريخي للمدنية، في حين كان المحور الثاني قد خُصص للحديث عن الرحلات العلمية، وضم المحور الثالث تسليط الضوء على علماء قاين.

الكلمات المفتاحية: وصف جغرافي وتاريخي للمدينة، الرحلات العلمية، علماء قاين.

تمهيد

الجذور التاريخية لمدينة قاين:

وردت بعض الإشارات في مصادرنا،

(*) جامعة بغداد / كلية الآداب
Ali.najem.gmail.com

التي أشارت إلى أن قاين وهو قابيل بن آدم (عليه السلام) اذ رحل إلى مدينة قاين (المسعودي، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ج١، ص١٤٦؛ ابن ما كولا، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج٧، ص٤٠).

المحور الأول: الوصف الجغرافي والتاريخي للمدينة

التسمية:

وردت بعض الروايات في تسمية المدينة منها:

الرواية الأولى: إنها سُميت نعمان الكبير (ياقوت الحموي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٠١).

الرواية الثانية: إن معنى قاين الثوب الأبيض (أبو الفرج الأصفهاني، د.ت، ج١، ص١٧٠).

الموقع والحدود:

اختلفت آراء بعض الجغرافيين والبلدانيين في وصفهم المشرف الإسلامي ونواحيه، وفيما يتعلق بمدينة قاين، إذ هنالك بعض الآراء ومنها:

الرأي الاول: إنها بلدة قريبه من طبس (البلاذري، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٠٨).

الرأي الثاني: إنها قصة قوهستان (المقدسي، ١٤١١هـ/ ١٩١١م، ص٣٢١).

الرأي الثالث: ذهب إلى أنها من أعمال سرخس (الاصطخري، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٧٤).

الرأي الرابع: وصفها بأنها أكبر مدن قوهستان، باردة الهواء (مؤلف مجهول، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م، ص١١٦).

الرأي الخامس: شبهها من حيث الكبر بسرخس، وبناءها من طين، ولها قهندز (ابن حوقل، ١٤١١ه/ ١٩٩١م، ج٢، ص٤٤٦).

الرأي السادس: إنها تقع من ضمن مسافات مدن خرسان (علوي، ناصر خسرو، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١٧٧).

الرأي السابع: إنها بلدة قريبة من طبس، بين نيسأبور وأصبهان (ياقوت الحموي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٠١).

الرأي الثامن: إنها قضية قوهستان، ضيقة صغيرة (ابن عبد الحق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ج٣، ص١٠٦).

الرأي التاسع: إنها قصبة قوهستان. وقوهستان من خرسان على مفازة فارس، وقوهستان اسم للناحية، وليس ثم اسم مدينة، بل مدينة قوهستان قاين (البروسبري، د.ت، ص٥٥).

من خلال الآراء التي أوردناها آنفاً عن الموقع نلاحظ تباين آراء الجغرافيين، غير اننا نرى إن قاين قصبة لمدينة قومستان. وأما عن حدودها، اتفق بعض الجغرافيين على وصفها في المنتصف بين نيسأبور، أصفهان، كرمان. فضلاً عن بعض النواحي (ياقوت الحموي، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٠١؛ ابن عبد الحق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ج٣، ص١٠٦).

على الرغم من الاتفاق، إلا أنهم لم يحددوا بدقة حدود المدينة، بل اكتفوا بالإشارة أنها تحدها بعض المدن، فضلاً عن أن حديثهم لم يذكروا فيه جهات المدينة من حيث الشمال والشرق والغرب، وفيما يختص الأمر بالأحداث التاريخية للمدينة اذ فتحت على يد عبد الله بن عامر (ت٥٩ه/ ٦٧٨م) في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥ه/ ٦٤٣-٦٥٥م) (ياقوت الحموي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ج٤، ص٤١١).

ولم تذكر بعض المصادر التي بين أيدينا الأحداث التاريخية التي تلت عصر الخلافة الراشدة، غير أننا وجدنا بعض الإشارات عنها، ومن هذهِ أنها أصبحت داراً للإمارة في عهد بعض الإمارات المستقلة (مؤلف مجهول، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص١١٦). وخضعت قاين بعد ذلك للسلاجقة، غير أنهم لم يلبثوا في حكمهم للمدينة، وسرعان ما ظهر منافس على المدينة، وأعني بذلك الإسماعيلية، فظل الصراع محتدماً بين الاثنين، إلا أن الغلبة اصبحت الإسماعيلية في النهاية (ياقوت الحموي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ج٤، ص٤١٦؛ الأمين، د.ت، ج١، ص١٦٧).

المحور الثاني: الرحلات العلمية وأنواعهما

أولاً: الرحلة لغرض الدرس

إن الدين الإسلامي قد حث على طلب العلم والاستزادة منه، وبعد دخوله إلى بلاد المشرق مع الفاتحين إذ رغب أهالي البلاد المفتوحة في طلب العلم، إذ رحل بعض علماء قاين إلى عدة من الأمصار رغبة في طلب العلم، ومنهم:

١. إسحاق بن إبراهيم بن أحمد القايني أبو الحسن (كان حياً ق٤ه/ ١٠م): سمع لبضعه من الشيوخ، ومنهم أبو قريش مُحَمَّد بن جمعة بن خلف الحافظ (٣١٣ه/ ٩٢٥م) (السمعاني، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ج١١، ص١٥٧).

٢. الحسين بن مُحَمَّد (ت٤٩٨هـ/ ١١٥٤م): الحسين بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن إسحق بن مُحَمَّد بن منازل البيرجندي، من كور قاين (الزهراني، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٦١٥). وكنيته أبو القاسم، وقيل أبو عبد الله.

٣. علي الكندراني (ت بعد ٣٥٠هـ/ ٩٦١م): من كور قاين (السمعاني، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ج١١، ص١٥٧؛ الزهراني، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٧١١).

٤. علي بن مُحَمَّد (كان حياً ق ٥/ ١١م): علي بن مُحَمَّد القانني أبو منصور الدباغ، روى عن أبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٥. أبو عثمان الصأبوني (ت٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) (السمعاني، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ج١١، ص١٥٧). يبدو لنا أن المترجم له قد رغب في طلب العلم فضلاً عن ممارسته للصناعة، وهذا يتبين من اتخاذ لقب الدباغ.

ثانياً: الرحلة لغرض التدريس

إبراهيم بن مُحَمَّد (ت٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م): إبراهيم بن مُحَمَّد التوني القايني أبو إسحق، الفقيه المدرس، رحل من قاين إلى هراة وتوفى فيها (الزبيدي، د.ت، ج٣٤، ص٣٢١). يبدو أن العالم القايني قد كانت له مكانة علمية مرموقة، وهذا يتبين من خلال تلقبهُ بالفقيه المدرس.

٢. مُحَمَّد بن إبراهيم التوني القايني أبو إسحق، كان فقيهاً مناظراً رحل من قاين إلى إصبهان وسمع فيها عبد الله بن أبي الرجاء، وعلق التعليقه على ناصر المروزي (السمعاني، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ج٣، ص٢١٢). نستفيد من الحديث الذي أوردناه عن المترجم عدة من الأمور: إن المترجم كانت له مكانة علمية في بلده، لم يكتفِ بما امتلكه من العلم بل رحل للاستزادة منه، إن لفظة علق دليل على امتهانه للتدريس في رحلته.

ثالثاً: رحلة علماء الحواضر الأخرى إلى قاين

لم تكن قاين بمعزل عن الأمصار الإسلامية الأخرى، إذ رحل اليها بعض العلماء في طلب العلم، فضلاً عن توليهم لبعض المناصب، ومنهم:

١. الحسين بن أحمد (ت٤٦٥ه/ ١٠٧٢م): الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد القاضي أبو نصر (الفارسي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٣٠٣). رجل نسيب من أولاد القضاة وبيت العلم، سمع من المخلدي، وسمع من أبي زكريا الحربي (ت٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م) وطبقتهم، وتفقه على القاضي أبو الهيم. وتولى قضاء قاين (٤٢٥هـ/١٠٣٣م) (الفارسي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص٣٠٢).

لعل من المفيد أن نُشير إلى أمرين هامين:

الأول: إن لفظ وطبقة دليل لسماعه لبعض علماء قاين، إلا أن بعض المصادر التي بين أيدينا لم تُشر إلى ذلك.

الأمر الثاني: إن توليه لمهنة القضاء في قاين دليل على استقراره فيها مدة من الزمن.

المحور الثالث: علماء قاين

أولاً: علم القراءات

إسماعيل بن عبد الله (كان حياً ق٦هـ/ ١٢م): إسماعيل بن عبد الله ابن أبي سعد التوني أبو طاهر. رحل من تون إلى نيسابور، وخدم الإمام مُحَمَّد بن عبد الله الارغاني أبو نصر (الذهبي، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م، ج٣٧، ص٣٥٧). وخدم مسجد عقيل نيسابور مدة وكان صالحاً فاضلاً (الذهبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج٣٧، ص٣٥٧). توفي في نيسابور في شهر رمضان، ونُهب من ماله ألف دينار (الذهبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج٣٧، ص٣٥٧). على الرغم من عدم ورود إشارة صريحة بأن المترجم له من القُراء، غير أننا من خلال ترجمته التي أوردناها آنفاً والتي يتبين من خلال خدمته لمسجد عقيل فضلاً عن تلمذته على يد الشيخ، وهذا ما جعلنا نثبته في علم القراءات.

٢. عبد الرحمن بن عبد الصمد (ت٥٤٦هـ/ ١١٠١م): عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أبي سعيد القايني، أبو سعيد المقرئ. رحل من قاين إلى نيسابور (الذهبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج١٠، ص٢١٤)، وقرأ على الإمام أبو الحسن الغزال، وتتلمذه له وخدمه عدة (الذهبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص٢١٤). وكان إماماً فاضلاً صالحاً ورعاً كثير العبادة ومقدم القُراء وشيخهم وإمامهم، وعمر حتَّى رحل إليه في علم القراءات (الذهبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج١٠، ص٢١٤). يبدو لنا من الحديث السالف الذكر أن المترجم له قد أمضى شطراً من حياته في سبيل تحصيل العلم، وبعد ذلك أصبحت له مكانة علمية مرموقة وذلك يتبين من لفظ رحيلهم إليه، غير أن بعض المصادر التي بين أيدينا لم تُسعفنا في الحديث عمن رحل إليه ولا أي مكان كان مستقراً فيه القايني، أكان في قاين أو غيرها من الأمصار.

ثانياً: علم الحديث

طاهر بن أحمد: طاهر بن أحمد بن علي بن محمود المحمودي القايني (السبكي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص١١). أبو الحسين، رحل من قاين إلى خرسان وغيرها، وسمع الحديث من شيوخه منصور بن نصر بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد الكاغدي الأصبهاني أبي الفضائل، ابن علي النيسابوري أبو سعد الحافظ، وعمر أبو نصر الفقيه، ويحيى بن علي الدسكري الطبيب، ورزقوية أبو الحسن (السبكي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص١١). لعل من المفيد أن نُشير أن المترجم له قد رحل في طلب العلم وأمضى شطراً من حياته فيه، فضلاً عن أنه سمع لعدة من المشايخ في علمي الحديث والفقه، ومن المحتمل أنه قد حن إلى بلاده، غير أن بعض المصادر التي بين أيدينا لم تُشر إلى ذلك.

ثالثاً: علم الفقه

الجنيد بن مُحَمَّد (ت٥٤٧هـ/ ١١٥٢م): الجنيد بن مُحَمَّد بن علي بن أبي منصور القايني أبو القاسم (الصفدي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١١، ص٨٧٥)، رحل من قاين إلى هراة واستوطن فيها. وكان فقيها فاضلاً محدثاً صدوقاً موصوفاً بالزهد والعبادة (الصفدي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١١، ص٨٧٥). يتبين لنا من خلال الحديث أمرين:

الأمر الأول: إنه رحل إلى هراة رغبةً منه لنشر علمه.

الأمر الثاني: يتبين من خلال ترجمته أنه قد جمع لبعض العلوم في نفس الوقت، وهذا دليل على براعته العلمية.

رابعاً: علم التصوف

الجنيد بن مُحَمَّد: سمع من مُحَمَّد بن أحمد بن أبي جعفر الطبسي (الذهبي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١١، ص٨٩١). أبو الفضل الشيخ الإمام العارف المحدث الكبير، وقيل: ثقة ورع صوفي زاهد (الذهبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج١١، ص٨٩١). لعل من المفيد أن نُشير أن الجنيد تتلمذ على يد الطبسي الذي ذاعت شهرته في علم التصوف؛ لذا فالتلميذ هذا حذو أستاذه في التصوف.

خامساً: علوم اللغة العربية

أ. الشعر

أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عوانه القايني، أبو طالب القاين (ابن الصلاح، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج١، ص٣٥٧). شاعر روى عنه منها:

يا سادة عندهم للمُصطفى نسب

رفقاً بمن عنهم للمُصطفى حسب

أهل الحديث هم أهل الرسول

فإن لم يصبحوا أنفسه أنفاسه أصبحوا

(ابن الصلاح، ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م، ج١، ص٣٥٧). يبدو لنا من ثنايا الحديث، أمرين:

الأمر الأول: إنه امتهن مهنة القضاء، ودليلنا على ذلك تنسبه بالقاضي.

الأمر الثاني: إنه جمع بين خلتين مهنه القضاء وطلب العلم، إذ أوردنا بعض مآثره الشعرية في بعض مصادرنا التي بين أيدينا، وكانت في مدح الرسول (ﷺ) ونسله الأطهار

ب. الآداب

الحسين بن مُحَمَّد: أديب أصبهان، وكان يذكر بالصلاح والفقه والسُنة وكثرة الكتابة، دقيق الخط، وسُمي الاصمعي الصغير (الزهراني، ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م، ص٦٥٠)

سهل بن المرزبان (ت٤٢٠ه/ ١٠٢٩م): سعد بن مرزبان القانني أبو نصر، مولده ونشأته في قاين (كحالة، د.ت، ج٤، ص٢٨٦). رحل من قاين إلى أصبهان، أديب صنف عدة من المؤلفات (كحالة، د.ت، ج٤، ص٢٨٦).

مسعود بن المظفر (ت٥٤٥ أو ٥٥٠ه/ ١١٥٠ أو ١١٥٥م): أبو سعد (السمعاني، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م، ج٢، ص٣٠٥). ولد في مرو، ونشأ وسكن سارية مازندران (السمعاني، ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م، ج٢، ص٣٠٥)، وكان فاضلاً ظريف الجملة والتفصيل، ولما دخلت سارية صادقته ولم يتفق أن سمعت منه شيئاً من الحديث إلا أن أصوله لم تكن معه، وحكى في مناماً رآه ولم أسمع منه سوى ذلك المنام (السمعاني، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ج١، ص٣٠٥). يتضح أن المترجم كانت له مكانة علمية مرموقة.

سادساً: علم الطب

مُحَمَّد بن داود (كان حياً ق٦ه/ ١٢م): مُحَمَّد بن داود القايني الحكيم. ولد في قاين ورحل منها إلى نيسابور (ابن هندمة البيهقي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٤٣٦)، واختلف هنالك إلى الإمام عمر الخيام (ت٥٢٦ه/ ١١٣١م) وغيره في طلب وغير ذلك (ابن فندمه البيهقي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٤٣٦). لعل من المفيد أن نُشير إلى بعض الأمور في ثنايا الحديث، ومنها أن المترجم له قد اشتهر بمهنة الطب في مدينة قاين رغبة في الاستزادة لطلب العلم، وهذا يتبين من رحلته إلى نيسابور ولقاءه للخيام وغيره رغبةً في تحصيل بعض العلوم الأخرى، وهذا يتبين في لفظ وغير ذلك.

الخاتمة

لقد كنا قد انتهينا من كتابة بحثنا، بعنوان: إسهامات علماء قاين في الحركة الفكرية.. من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وحتَّى السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، وقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

إن للمدينة جذور تاريخية ضاربة في القدم، فُتحت المدينة في عهد الخليفة عثمان بن عفان.

شهدت المدينة صراعاً سياسياً في عهد بعض الإمارات المستقلة، ولاسيما بين الإسماعيلية والسلاجقة.

اشتهر بعض علماء المدينة للرحلة في طلب العلم.

برزت عدة من الشخصيات العلمية في بعض العلوم، إذ أشرنا إليها في ثنايا البحث.

وفي الختام راجين من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في البحث لمدينة قاين وعلمائها.

قائمة المصادر والمراجع

١. علي بن الحسين المسعودي (ت١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)

٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).

٣. علي بن هبة الله بن جعفر بن ما كولا (ت١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)

٤. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٥. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)

٦. فتوح البلدان، (بيروت: دار مكتبة الهلال، د.ت).

٧. ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموي (ت١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)

٨. معجم البلدان، (بيروت: دار صادر).

٩. علي بن الحسين بن أحمد أبو الفرج الأصفهاني

١٠. كتاب الأغاني (مجلد د.ط) (د.م: ط).

١١. مُحَمَّد بن أحمد المقدسي (ت١٤١١هـ/ ١٩٩١م)

١٢. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (مجلد، ط٣) (بيروت: دار صادر).

١٣. معين الدين القبذنائي وعلوي ناصر خسرو (ت١٤١٣ه/ ١٩٩٢م)

١٤. سفر نامه (مجلد ط٣) (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتابة).

١٥. مُحَمَّد بن علي البروسوي

١٦. أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، (مجلد د.ط) (د.م: دار الغرب الإسلامي).

١٧. ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموي

١٨. معجم البلدان، (مجلد ط ١) (بيروت: دار أحياء التراث العربي).

١٩. محسن الأمين

٢٠. أعيان الشيعة، (مجلد د.ط) (بيروت: دار التعارف للمطبوعات).

Contributions of Cainian Scholars to the Intellectual Movement (4th-6th Century AH/10th-12th Century AD)

Dr. Ali Najm Abdullah Al-Fayadh

University of Baghdad / College of Arts

Abstract

The researcher in his research entitled Contributions of Qayin Scholars to the Intellectual Movement from the Fourth Hijri Century, Tenth Century AD to the Sixth Hijri Century, Twelfth Century AD, as the researcher paid attention to a part of our forgotten heritage In addition to the emergence of some scientific figures in "Qain", the research section is divided into an introduction and three axes, preceded by an introduction and followed by a conclusion, in addition to a list of research references.

In the East. The city was conquered during the reign of Caliph Uthman bin Affan (23-35 AH/643-655 AD) and the conflict between the Seljuks and the Ismailis over the city remained fierce after that.